**جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-**

**كلية الآداب والحضارة الإسلامية قسنطينة**

**قسم اللغة العربية**

**الندوة التكوينية: آليات تحليل الخطاب الأدبي القديم**

**د. شافية هلال**

**أستاذ محاضر-أ-**

**c.helal@univ-emir.dz**

**المحور الثاني: تحليل الخطاب الأدبي القديم في ضوء المناهج السياقية.**

**عنوان المداخلة:**

# قراءة نفسية اجتماعية في شعر أغربة العرب

# A psychological social reading in the poetry of foreign Arabs

## الملخص بالعربية:

تحاول هذه الورقة البحثية أن تقدم قراءة نفسية اجتماعية لشعر طائفة من الشعراء السود الجاهليين وسمت" بأغربة العرب" زيادة لهم في الإذلال والاضطهاد، عاشت ظروف خاصة وترسبت في لا شعورهم كل رواسب النقص والحرمان وعبرت عن رؤية فنية لها خصوصيتها في المدونة الشعرية التراثية.

وتتعامل هذه الورقة البحثية مع النصوص الشعرية لهؤلاء الأغربة وفق منظور نفسي واجتماعي في محاولة تفسير نصوصهم وتقريبها للكشف عن الدوافع اللا واعية وراء إبداعهم الشعري، لتحقيق التكيف والاتزان مع النفس والمجتمع والتي جعلته مرآة صادقة تعكس أحاسيسهم وانفعالاتهم وعلاقاتهم، فالنص الشعري ما هو إلا وثيقة نفسية واجتماعية.

## الكلمات المفتاحية:

**.أغربة العرب- عقدة اللون- الاضطهاد الاجتماعي- الإحساس بالدونية-المنهج النفسي**

**Summary in English:**

This research paper attempts to provide a psycho-social reading of the poetry of a group of black poets of the pre-Islamic who were labeled “the foreigners of the Arabs,” adding to their humiliation and persecution. They lived in special circumstances and deposited in their subconscious all the residues of inferiority and deprivation, and they expressed an artistic vision that has its own specificity in the traditional poetic blog.

This research paper deals with the poetic texts of these foreigners according to a psychological and social perspective in an attempt to interpret their texts and bring them closer to reveal the unconscious motives behind their poetic creativity, to achieve adaptation and balance with the soul and society, which made it an honest mirror that reflects their feelings, emotions and relationships. The poetic text is nothing but a psychological and social document.

**key words:**

Alienation of Arabs - color complex - social oppression - sense of inferiority - psychological approach.

## 1-مرتكزات الورقة البحثية:

**1**- انبنت هذه الورقة البحثية على الشعراء الأغربة الذين وقع الإجماع عليهم، وعلى شاعريتهم، وعلى تمثيلهم للعصر الجاهلي، يقول ابن قتيبة أن أغربة العرب ثلاثة : « عنترة وأمّه زَبيبة، سوداء، وخفاف بن عمير الشّرِيديّ من بني سليم، وأمه نُدْبة، وإليها ينسب، وكانت سوداء، والسّليك بن عُمَير السَّعديّ وأمّه السّلكة، وإليها ينسب، وكانت سوداء »[1].

و الشعراء الأغربة على ذلك على صنفين؛ الأول الشاعر الذي ولد من أمة سوداء واستعبد، كعنترة والسليك الذي تنكر له والده جريا على عادة العرب في استعباد أبناء الإماء[2] وثانيهما: الشاعر الذي ولد من أمة سوداء ولكن وجد الاعتراف به حين رأى نور الحياة، كخفاف بن ندبة السلمي، الذي نال

[1]-ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر،، دار المعارف، 1377هـ - 1957، ص: ج1ص:251

[2]-ينظر الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الشعب، القاهرة، مج8، ص:2983. وابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1ص: 250

شرف الانتساب إلى أبيه على الرغم من وراثته سواد البشرة من جهة أمه[1]

2- وتستند هذه الورقة البحثية على القراءة السياقية الخارجية من القراءات النقدية التي استهدفت الظاهرة الأدبية و عاينت النصوص من خلال إطارها الاجتماعي والنفسي على وجه التحديد.

3-إن المنهج النفسي قد استطاع أن يفرض نفسه في الدراسات الأدبية، بشكل بارز، واستطاع أن يفتح آفاقا جديدة لفهم آليات الإبداع الفني، وفهم بعض الجوانب المخفية من نفسية الأديب، وهذا يعود لطبيعة النص الشعر العربي القديم وخصوصيته، فلا يمكن اخضاع نص مفتوح لنظريات نفسية تغلقه عن الدلالة الاحتمالية التي تتشكل في لغته، كما أن طرح فرويد المبنى على الغرائز الجنسية فيه نظر.

## 2- أغربة العرب ( التسمية ومصادر دراسة شعرهم)

**الشعراء الأغربة :** أطلق هذا الاسم على هؤلاء الشعراء الذين تسرب إليهم السواد من أمهاتهم الإماء[2].وسموهم في الجاهلية «بالأغربة» تشبيها لهم بالغراب، ذلك الطائر البغيض، نذير الشؤم والخيبة في سواد لونه[3]؛جاء في لسان العرب: «فلان أشد سوادا من غراب، وأشأم من غراب، وأغربة العرب سودانهم، شبهوا بالأغربة في لونهم»[4]، وفي تاج العروس: «أغربة العربِ سُودانُهم، شبّهوا بالأغربة في لونهم، وكلّهم سَرَى إليهم السواد من أمهاتهم»[5].

ولقد اختلف الرواة في تحديد عدد الشعراء السود، فقيل: ثلاثة، جاء في كتاب الأغاني على لسان ابن الكلبي: «وعنترة أحد أغربة العرب، وهم ثلاثة: عنترة وأمّه زَبيبة، وخفاف بن عمير الشّرِيديّ وأمه نُدْبة، والسّليك بن عُمَير السَّعديّ وأمّه السّلكة، وإليهن ينسبون»[6] كما يؤكد هذا صاحب خزانة

---

[1]-ينظر: ابن حبيب، المحبر، تصحيح: إيلزه ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1361هـ - 1942، ص: 306، 308، الذي ذكر ضمن جريدة أبناء الحبشيات أسماء عشرات الرجال، عرفوا بأنهم سادة أحرار كرام

[2]-عبده بدوي، الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1988، ص: 21

[3]-يقول الجاحظ: «الغراب أكثر من جميع ما تطير به، في باب الشؤم» الحيوان، تحقيق: فوزي عطوي، ، دار صعب بيروت، ط3، 1402هـ - 1982، مج1، ج3 ص: 567

[4]- ابن منظور،لسان العرب، ابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت ،ج3239/5 (مادة غرب)

[5]-الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس،تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: إبراهيم السامرائي، وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م. ج471/3 (مادة غرب).

[6]- الأغاني،ج2286/7.

الأدب[1].

وقيل أربعة، فقد جاء في اللسان: «الأغربة في الجاهلية: عنترة، وخفاف بن ندبة السلمي، وأبو عمير بن الحباب السلمي أيضا، والسّليك بن السّلكة»[2].

وقد أفاض في هذا النيسابوري فقال: «(أغربة العرب): وذُؤبان العرب سادتها، وهم أربعة سودان شجعان، فمنهم عنترة بن شداد العبسيّ، سرى السّواد فيه من جهة أمه، وكانت حبشية زنجية تسمى زبيبة، ومنهم خفاف بن ندبة السلمي، سرى السواد فيه من قبل أمه وبلدته، لأنه من حرة بني سليم...ومنهم السّليك المقانب، وهو السّليك بن السّلكة، وهي أمه، وكانت أمة سوداء، والسّليك أيضا أسود، وهو أحد أغربة العرب، وأعدى الناس، لا يشق غباره، وأخباره في العدو والغارة مشهورة معروفة... ومنهم عبد الله بن خازم السلمي والي خراسان لعبد الله بن الزبير»[3].

وقيل سبعة، أورد السيوطي قائلا: «والأغربة في الجاهلية، يعني السودان: عنترة، وخفاف بن ندبة السلمي- وندبة أمه- وأبو عمير بن الحباب السلمي، والسّليك بن السّلكة – وهي أمه- واسم أبيه يثربي- وهشام بن عقبة بن أبي معيط مخضرم، وتأبط شرا، والشنفرى»[4].

وقيل أكثر من ذلك[5].

أما عن **مصادر دراسة شعرهم** فلعل أول ما يواجه الباحث في دراسته لشعر أغربة العرب، قلة شعرهم الذي وصل إلينا، فقد تعرض كثير من شعرهم إلى الضياع والإهمال والاختلاط بغيره[6].

ولأن ما نسب إلى عنترة بن شداد العبسي من شعر لم تصح نسبته إليه، يمكن أن يوقع الدارس في كثير من اللبس والتجاوز، فإنني اعتمدت على ديوانه الذي حققه محمد سعيد مولوي، معتمدا على ست نسخ مخطوطة للديوان[7]، وهو حسب رأي أغلب الباحثين أصح ما روي لعنترة من شعره.

---

[1]-البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1406هـ - 1986 ،ج1،ص: 128

[2]-لسان العرب،ج3230/5 (مادة غرب)

[3]-النيسابوري،ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1384هـ - 1965، ص: 159، 160

[4]- السيوطي،المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى وآخرون، ج2، دار إحياء الكتب العربية، العربية، ط4، 1378هـ - 1958، ص: 334

[5]-ينظر: المحبر، ص: 306، 308

[6]-ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 3، 7، يوسف خليف، الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، دار المعارف بمصر، ص: 151، 167، 168

[7]-ديوان عنترة بن شداد، تحقيق:محمد سعيد مولوي نشر المكتب الإسلامي، 1390هـ، 1970

أما خفاف بن ندبة السلميّ، فقد اعتمدت على ديوانه الذي جمعه وحققه الدكتور نوري حمودي القيسي[1]، كما استعنت أيضا بشرح ديوانه للدكتور محمد نبيل طريفي[2]، وارتكزت على شعر خفاف الذي ثبت قوله في الجاهلية وهو أغلب ما قال من شعر، مستبعدة الشعر المنسوب له ولغيره من الشعراء.

أما السّليك بن السّلكة السعدي،فقد اعتمدت على ديوانه "السليك بالسلكة-أخباره وشعره-،دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد[3]

## 3- بين الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع:

الصلة بين الأدب وعلم النفس وعلم الاجتماع وثيقة ومتبادلة؛ لأن النفس تصنع الأدب، وكذلك يصنع الأدب النفس، وما الأدب إلا مرآة للمجتمع أي تعبير عن الحياة الاجتماعية التي تنعكس بصورة مباشرة في الإبداع الأدبي«لذا كان الأدب، ومازال طريقا من طرق الكشف عن أسرار النفس البشرية، فهو من حيث مصدره يحمل في طياته صور الشخصية التي أبدعته وملامح من البيئة الاجتماعية، والفكرية التي يعيش فيها مبدعه وهومن حيث مادته يضع أمام قارئه أنماطا من السلوك، وطرزا من الشخصية ونماذج من قضايا الصراع الداخلي الذي ينشب بين الرغبات، والأهواء، والقيم الإنسانية »[4]

**ووفق لهذا** (إن الأدب نشاط اجتماعي يبدعه مبدع عضو في كيان اجتماعي كبير يؤثر فيه عوامل متعددة معقدة، فالمبدع فرد ينطوي تحت لواء المجتمع وناتجه بضرورة نتاج اجتماعي) [5].

وعلم النفس أكثر قدما بالنسبة إلى أكثر النظم العلمية المتاحة؛ إذ يمكن تتبع جذوره في القرنيين الرابع والخامس قبل الميلاد ومع علماء مثل سقراط وأفلاطون وأرسطو[6]. هذا الأخير ونظريته في التطهير الذي تحدثه التراجيديا في نفوسنا، فأرسطو( Aristoteles 322 ق.م)وجد أن الإحساس بالعطف، والخوف من شأنه أن يخلصنا من العواطف المشوشة، والمضطربة، ويجعلنا أكثر قربا من

---

[1]-شعر خفاف بن ندبة السلمي، تحقيق: نوري حمودي القيسي ، مطبعة المعارف، بغداد، 1967

[2]-محمد نبيل طريفي ،شرح ديوان خفاف بن ندبة السلمي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2002

[3]-السليك بالسلكة-أخباره وشعره-،دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني – بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م.

[4]-محمد خلف الله أحمد، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1947م، ص:238

[5]-إبراهيم الساعفين، وخليل الشيخ، مناهج النقد الأدبي الحديث، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوليدات، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2010م، ص:94

[6]-، ص:

الوجدان الإنساني العام البعيد عن تضخم الذات فالتراجيديا تطهر نفوسنا من الأحاسيس المضطربة التي تحدثها فينا الحياة اليومية[1] وقد تم إرساء أسس النقد النفسي في القرن العشرين وأول نظرية نفسية شاملة يتعلق بزعيمه ومؤسسه، الطبيب النفسي النفساني سيجموند فرويدSigmund Freud / 1856-1939م)ويعد فرويد أول من كرس جهدا لإنجاز جزءا مهما من أبحاثه في العلاقة بين علم النفس والأدب والفن، وفي رأيه الغريزة الجنسية الدافع الأول والأهم للميل للأدب والفن، «فإبداع الفنان يرجع في مصدره إلى الرغبة في التخفيف من عبء خاص، وإلى محاولات تحقيق رغبات في عالم الخيال لم تشبع في عالم الواقع.»[2]

ومن الذين أصروا على رفض نظرية فرويد وخالفوه، ألفريد أدلر(Alfred Adler / 1870-1937م)طبيب النفس النمساوي ومواطن فرويد، الذي ينبغي اعتباره حقا أبا للحركة الجديدة في علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي.

تدل نظريته على أن إثارة الإنسان تتم في الحقيقة عبر العوامل الاجتماعية وليس عن طريق العوامل البيولوجية، وفي رأيه ليس الإنسان ماكنة أو ساعة مضبوطة وليس بدمى في يد حوافزه (اللاواعية) بل هو موجود يتمتع إلى حد ما بالحرية والخيار وبإمكانه أن يمنح حياته معنى ساميا.

بينما كارل يونغ (**Carl Jung** 1875-1969م) يرى أن الإبداع في الفن والأدب ليس ظاهرة مرضية ولا تعبيرا عن عقد جنسية أو تعويضا عن مركبات النقص بل هو تعبير عما هو مختزن في اللاشعور الجمعي [3].

هذا عن بعض ملامح المنهج النفسي الذي لا يتوقف في محاولة تفسيره للظاهرة الأدبية عند نفسية الأدبي المبدع بل تعداه إلى نفسية المجتمع لينفتح المجال للحديث، عن علم الاجتماع، فبدايته الفعلية كان على يدي كارل ماركس(Karl Marx 1818-1883م) ؛وصديقه فريدريك إنجلز ( Friedrich Engels 1820-1895م)فيما عرف بالمادية التاريخية؛ والأدب وفق رؤيتهما خاض للقوى الاقتصادية والايدولوجية، وليس لأي قيمة جوهرية .

وتعد الروائية الفرنسية مدام ودستال (Madame de Staël.1766-1817)بكتابها الموسوم" **الأدب في علاقته بالأنظمة الاجتماعية" الصادر عام 1800أول دراسة منهجية في مسار سوسيولوجيا الأدب،** بنت فيه مبدأ مفاده أن الأدب تعبير عن المجتمع، وأنه يتغير بتغير المجتمع، ويتطور حسب تطور الاوضاع الاجتماعية وأكدت (أننا لا نستطيع فهم الأثر الأدبي وتذوقه تذوقا حقيقيا في معزل عن

---

[1]-نبيل راغب:التفسير العلمي للأدب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997م، ص:186

[2]-عزالدين اسماعيل، التفسير النفسي للأدب، دار العودة بيروت –لبنان، الطبعة الرابعة، 1988م ص:13

[3]-)، ص:

المعرفة بالظروف الاجتماعية التي أدت إلى إبداعه وظهوره) [1]

ثم اكتسبت التحليلات التي تضمنها كتاب الناقد الفرنسي «هيبوليت تين» (Hippolyte Taine (1828 - 1893 م)في كتابه «تاريخ الأدب وتحليله» الصادر في العام 1863، أحد أشهر التطبيقات الممثلة للمنهج الاجتماعي في دراسة الأدب وتحليله؛ ووفق كل هذا ظهرت في القرن العشرين جهودا كثيرة لدراسة العلاقة بين المجتمع والأدب باعتباره انعكاسا وتمثيلا للحياة لعل أهمها ما جاء به.جورج لوكاتش(1970 – 1885) George Lucasوالذي تبناه وطوره الناقد ومنظر علم الاجتماع الماركسي لوسيان غولدمان (Lucien Goldmann (1913-1970) مقدما توجها جديدا يسمى علم الاجتماع الإبداع الأدبي. [2].

## 4- خلفيات الواقع الاجتماعي والنفسي وانعكاساته في شعر أغربة العرب:

تعتبر طائفة أغربة العرب طائفة متميزة في المجتمع العربي الجاهلي اجتماعيا ونفسيا، كان لابد لنا أن نتعرف على مجموعة الأحداث والظروف والمؤثرات التي ساهمت من قريب أو من بعيد في بناء كيان تلك الشخصيات المتميزة، وفي رسم معالمها، وكان لابد لنا أيضا، من الإلمام بالتيارات التي تنازعت نفسيات الشعراء عبر واقعهم، مستطلعين الأسباب الخفية التي أحاطت بهم، والتي جعلت من شعرهم مرآة صادقة تعكس أحاسيسهم، وانفعالاتهم، وعلاقاتهم؛ يرى أدلر: «أن فهم شخصية الفرد، وطبيعته الداخلية يستلزم الكشف عن الإطار الاجتماعي الذي فيه يحيا الإنسان، من حيث إن الإنسان كائن اجتماعي، تتشكل حياته في سياق المعايير الأخلاقية والثقافية والاجتماعية ؛ فالظروف الاجتماعية، والاقتصادية لها أثر مهم في إبراز دوافع سلوك الإنسان، وفي تكوين تفكيره، فالإنسان ليس كائنا منعزلا عن الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه، بل هو كائن اجتماعي قادر على خلق شخصيته من خلال نشاطه الذاتي»[3].

من واقع النظرة الأولى نرى أن الشعراء السود قد ولدوا ولادة مختلفة – كما يتجلى من الروايات- من أب سيد شريف في قومه، وأم أَمَةٍ سوداء، فوالد عنترة "شداد العبسي[4]" كان قد وقع على أَمَةٍ حبشية سوداء تسمى زبيبة، سباها في إحدى غزواته فأولدها عنترة[5]).

---

[1]-إبراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة-الأردن، الطبعة الاولى، 2005، ص:67

[2]-)، ص:

[3]-إسحاق رمزي، علم النفس الفردي -أصوله وتطبيقاته- دار المعارف، ط2، 1953، ص: 102.

[4]-وهو الراجح عند أكثر الرواة وأعلامها، ولقد أحصى الباحث سعيد مولوي خمسة أقوال في اسم والد عنترة، ينظر: ديوان عنترة بن شداد، ص: 19-20.

[5]-ينظر: الشعر والشعراء 350/1، الأغاني 2983/8.

أما خُفَاف، فأبوه عُمَيْر السُلَمِيُّ وأمه نَدْبَةُ، وهي أَمَة سوداء، كان الحارث بن الشريد قد سباها حين أغار على بني الحارث بن كعب، فوهبها لابنه عمير، فولدت له خفافا[1].

أما السّليك، فأبوه هو عمرو[2] بن يثربي التميمي، وأمه السّلكة، وهي أَمة سوداء[3].

ولقد وسِمَ الشعراء السود في هذه الولادة بثلاث سمات، لم يطيقوا الإذعان لها ولم يكادوا يوفقوا إلى التحرّر منها:

(أ) سّمة السوّاد:

فقد أتى كل من (عنترة، وخفاف، والسّليك) مسرفين في السواد، لدرجة أن سوادهم كان أشبه بلافتة يحملونها على وجوههم وسائر ملامحهم، أو كأنه علم منكر، مشؤوم، يعلن للناس عاهتهم ونقصهم، وقد تحدّر إليهم من جهة أمهاتهم، ولا شأن لهم فيه أو في دفعه[4].

ومن سوء حظ عنترة، وخفاف، والسّليك، أن أسوأ الهجناء حظا، وأوضعهم منزلة اجتماعية أولاد الإماء السود الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم، فقد كانوا سبة يعير بها آباؤهم[5].

فقد خرج هؤلاء "الأغربة" إلى الحياة، وقد وسمتهم الطبيعة بذلك اللون الذي يبغضه مجتمعهم، والذي لا يد لهم فيه، ولا خروج لهم منه، فإذا هو يحول منذ البدء دون أن يعترف بهم آباؤهم، ثم إذا به بعد ذلك يقف صخرة تتحطم عليها آمالهم في أن يشاركوا في الحياة الاجتماعية كما يشارك غيرهم، ولا يهيئ لهم إلا فرصة ضيقة للحياة على هامش المجتمع حياة محتقرة في ذل لا فكاك منه[6].

فلقد كانت عقدة اللون من الأسباب الرئيسة في مأساة عنترة اليومية، ومع أن هذا الشاعر كان فارس بني عبس وحامي قبيلته، وكان صوتها الشعري الرائع، فإن النظرة إليه ظلت تعذبه، وترهق نفسه، فقد ظلت كلمة "ابن السوداء" تلاحقه حتى وهو عائد من ساحة المعركة منتصرا؛ ولذلك فهو يتحدث عنها بمرارة، وألم شديدين[7]

وليس أدل على ذلك من قول قيس بن زهير- زعيم عبس- بعد أن أبلى عنترة في قتاله بلاء حسنا وهزم

---

[1]-ينظر: ابن قتيبة، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، 1960 ،ص: 325،الأغاني 6827/19، الخزانة 444-443/5.

[2]-وقيل: عُمَيَر، ينظر: الشعر والشعراء 365/1، والأغاني 8085/23.

[3]-ينظر: الأغاني 8085/23، والخزانة 345/3.

[4]-ينظر: إيليا سليم الحاوي في النقد والأدب، ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1979م، ص: 186.

[5]-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 108.

[6]-ينظر: المرجع نفسه، ص: 109.

[7]-ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 282.

أعداءه، قال قيس: «والله ما حمَى الناسَ إلا ابن السوداء»[1].

ثم إن نظرة المجتمع إلى اللون الأسود كانت كثيرا ما تكسر قلب الشاعر وتدمغه، وتعرقل خطواته[2]؛ ففي أحد المواقف يقول عباس بن مرداس لخفاف: «والله لا أشْتمُ عِرْضَك، ولا أَسُبُّ أَباك، وأُمَّك، ولكن رمى سَوادَك بما فيك»[3].

وإذا انتقلنا إلى الشاعر الصعلوك السّليك بن السّلكة، أحد سودان العرب وأغربتهم المشهورين، فإننا لم نعثر له على شعر مباشر في تأثير السواد عليه، وربما يرجع ذلك إلى قلة شعره الذي وصل إلينا[4]، وإلى «أن الصعاليك الأغربة كانوا يجدون غضاضة في الحديث عن هذه الظاهرة التي كانت مصدر احتقار المجتمع الجاهلي لهم»[5].

**ب-سمة الهُجْنَة:**

حيث كان العرب يطلقون على ابن العربي من الأَمَة «هجينًا» جاء في لسان العرب: «الهجينُ: العربيّ ابن الأَمة لأنه معيب، وقيل: هو ابن الأَمة الراعية ما لم تُحَصَنْ، فإذا أحصنت فليس الولد بهجين» [6]. يقول المبرد: «الهجين عند العرب الذي أبوه شريف وأمّه وضيعة، والأصل في ذلك أن تكون تكون أَمةً» [7]. والهجنة لفظ يشعر معناه اللغوي[8]الدال "على اللؤم والخسة بمدى احتقار العرب لأبناء الإماء"[9].

ومن الطبيعي أن يعد زواج العربي من أمته زواجا غير متكافئ، وأن يطلق على ثمرته اسما خاصا، وأن لا ينظر إلى هذه الصلة نظرة احترام، لاسيما في مجتمع يحرص على الشرف في كلا طرفيه[10]- جهة

---

[1]-الأغاني 2987/8.

[2]-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 49.

[3]-الأغاني 6830/19.

[4]-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 65-66.

[5]-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 230.

[6]-لسان العرب،3625/6 تحت مادة "هجن".

[7]-المبرد،الكامل في اللغة والأدب والنحو، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997، ص: 94.

[8]-جاء في القاموس المحيط للفيروز آبادي، دار الفكر ،بيروت-لبنان، ج::279/4 «الهجين: اللئيم» وجاء في اللسان 4625/6 «الهجنة من الكلام وما يعيبك» فاللؤم والعيب من المعاني السلبية التي ينبض بها الجذر الثلاثي "هجن".

[9]-إحسان النص، العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1963م ص: 68.

[10]-ينظر: الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 107-108.

الأب وجهة الأم- ولا يصل المرء فيه إلى التوازن والرفعة إلا بهما معا.

وقد كان أبغض ما يبغضه العربي أن تلد أمته منه، فقد قالت العرب: «إنا قوم نبغض أن تلد فينا الإماء»[1].

وعليه أن الهجنة صفة لوضع اجتماعي مهين سببه استرقاق أم الهجين، وأنها منقصة يُعاب بها الهجين، ووصمة عار تثار عند أية بادرة خلاف، وهي قبل ذاك نسب يأنفه الصرحاء، ومما لاشك فيه أن اعتداد الصرحاء بنقاء نسبهم، وتعصبهم على الهجنة، جعل انتماء أصحابها النسبي ملاذا واهيا، لا يمنحهم الأمن والرعاية، بل يؤرقهم ويشعرهم بالخوف والقلق..

ج-سمة العبودية:

وهي متولدة من الثانية أو متصلة بها[2]، وهي سمة الرّق، والعبودية، والشعور بالاغتراب بين الناس؛ جريا

على عادة العرب في استعباد أبناء الإماء[3]نشأ كل من عنترة والسّليك عبدين مغمورين، زُج بهما إلى رعاية الماشية وتعهد الإبل، يحيون حياة قاسية في ظل عبودية مقيتة فيها الإكراه، والزجر، والمعاناة.

يخبرنا السيوطي في حديث له عن نشأة عنترة، أن شدادا قال لأولاده:« إن هذا الغلام ولدي، فكذبوه وقالوا: أنت شيخ قد خرفت تدّعي أولاد الناس، فلما شب عنترة قالو له: اذهب فارع الإبل، والغنم، واحلب، وصرّ، فانطلق يرعى»[4] معرضا للضرب والإهانة، فقد روى صاحب الأغاني:« كان عنترة قبل أن يدّعيه أبوه حرشت عليه امرأة أبيه وقالت: إنه يراودني عن نفسي، فغضب من ذلك شداد غضبا شديدا، وضربه ضربا مبرحا وضربه بالسيف، فوقعت عليه امرأة أبيه وكفته عنه، فلما رأت ما به من الجراح بكت- وكان اسمها سُمَيَّة وقيل سُهية»[5].

فقال عنترة:

تَجَلَّلَتْنِي إذْ أَهْوىٰ العصا قِبَلِي  كَأنَّها صَنَمٌ يَعْتَادُ مَعْكوفُ

المالُ مالُكُم والعَبْدُ عَبْدُكُمْ  فَهَلْ عَذابُكِ عني اليومَ مَصْروفُ[6]

---

[1]-الأغاني 165/20.

[2]-جاء في تاج العروس 225/8 مادة (سود) «أن السيد في الغالب أبيض، والعبد في الغالب أسود، وبين السواد والبياض تضاد، كما بين السيد والعبد».

[3]-ينظر: الشعر والشعراء 250/1 والأغاني 2983/8.

[4]-السيوطي،شرح شواهد المغني، تحقيق: محمد محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج1 ص: 481.

[5]-الأغاني2983/8.

[6]-الديوان، ص: 270، تجللتني: أي وقعت علي، يعتاد: يلزم، المعكوف: الذي يعكف عليه.

وذكر البغدادي، أن عمرا بن معد يكرب، كان يقول: «ما أُبالي أي ظعينةٍ لقيت على ماءٍ من أَمَواه مَعَدّ، ما لم يلْقَني دونَها عَبْداها أو حُرَّاها، وعني بالعبدين: عنترةَ العَبْسي، والسُّليك بن السّلكة»[1].

وإن كان خفاف بن ندبة، أوفر حظا من عنترة والسّليك، فهو لا يستعبد ولا يغمر نسبه، بل يأخذ طريقا سويا في قبيلته[2].فإن السواد كان المظهر الخارجي لعبوديته، فاللون الأسود هو رمز العبودية في الجاهلية، وإن لم يستعبده ذووه، فإن نظرة الصرحاء المتعصبة على الهجنة نفته من دائرة الأحرار، وزجت به في دائرة الاسترقاق، والعبودية؛ فالعصبية جعلت الصريح لا يرى في الهجين إلا عبدا، ولو كان حرا[3].

لقد ولد الشعراء السود، إذن ولادة مختلفة «هجناء/ سود/ عبيد» فيحصلون على هويتهم مناصفة، في بيئة تؤمن بوحدة جنسها ونقائه، وتقدس النسب قاعدة رئيسة من قواعد الإيمان بالعصبية القبلية. وهكذا، يبدو لنا أن الشعراء السود، كانوا من الذين يعانون عقدة الولادة أو عقدة الخطيئة الأصلية، التي تفد مع الإنسان إلى عالم متعصب قاس، ولا سبيل له إلى التحرر منها إذ ينظر إليه من خلالها.

## 5-شعر أغربة العرب وفق المنظور النفسي والاجتماعي:

إن إحساس الشعراء الأغربة بأنهم هجناء سود من الأرقاء، قد أذكى في نفوسهم منذ الصغر شعورا حادا بالنقص[4]، ترسخ في أعماق نفوسهم، وتضاعف وتعقد بين الواقع الوجودي لهم، وما يتمنونه لأنفسهم.

وذلك أن الإنسان يحمل في نفسه رغبات ونزعات يتمنى تحقيقها، وينظر إلى مستويات الحياة يبغي الوصول إليها، فإذا قصر عن الوصول إليها، أو قامت أمامه عقبات قاهرة، انعكست هذه الرغبات إلى باطن نفسه فشكلت عقدًا[5]، وتتجه هذه العقد في أحد سبيلين، إما التصعيد والدفع

---

[1]-الخزانة 80/3.

[2]-ينظر: الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، ص: 48.

[3]-ينظر: فاروق أحمد سليم ،الانتماء في الشعر الجاهلي، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1998م. ص: 168.

[4]-عقدة النقص أو الدونية Inferiority، كما يراها العالم النفساني أدلر: عقدة يعاني منها الفرد وتدفعه إلى التعويض التعويض بالتحدي والتمرد على كل ما يعترضه في تكوينه النفسي. ينظر: الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، ص: 68. ويوضح أدلر نظريته بقوله: "إن الكفاح من أجل التفوق ينبع من عقدة يفترض أن كل إنسان له مشاعر نقص، فإن كل إنسان يبحث عن التفوق وسيلة تعويضية". ينظر: قاسم حسين صالح، الإنسان...من هو؟، وزارة التعليم العالي، مطابع جامعة بغداد، 1987، ص: 97.

[5]-العقدة: Complex، مجموعة أفكار أو رغبات، لها صبغة انفعالية معينة وذات محتوى غريزي، تترابط مع بعضها، وتدفع الشخص إلى التفكير، والتصرف بطريقة خاصة به، تختلف عما اعتاده هو، وتثير في نفسه الاضطراب. ينظر: خليل أبو فرحة، الموسوعة النفسية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000، ص: 21.

نحو الكمال والخير، أو الانطواء مع الحقد والكراهية[1].

إن الإحساس بالنقص حرك القوى النفسية داخل الشاعر عنترة للتعويض، مما يضمن له الأمن، ويخفف شعوره بالدونية، الأمر الذي دفعه إلى التسامي والاستعلاء[2] كوسيلة فعالة وقوية يدافع بها عن ذاته، ويحقق وجوده، ويوجه انتباه المجتمع إلى ما قد يستمتعون به، وبالمقابل يصرف نظره عن واقعه الحقيقي، ذلك أن التسامي لا يعدو كونه «سلوكًا ذا صبغة آلية "Mécanisme " دفاعية تنزع إلى تعويض عيب أو صراع شخصي أو تقنعيه، وهذه الآلية التعويضية تحقق قيمتين توافقيتين؛ أولاهما: تنتج من كون التعويض شبه تحصيل يقام كدفاع ضد الفشل في التحصيل الحقيقي، فإنه كبديل للتحصيل الأصيل يحقق بطريقة غير مباشرة الدوافع التي أصابها الصد، وثانيهما : يصرف المرء عن التفكير في تصوره، ويوجه انتباه الغير إلى ما قد حققه النشاط البديل[3]» ، يقول: [الكامل]

وَأَنا المجربُ في المواطنِ كلِّها  من آل عبسٍ منصبي وفَعَالي
مِنْهمْ أَبي حَقّاً، فَهُمْ لِي وَالِدٌ  وَالأُمُّ مِنْ حَامٍ، فَهُمْ أَخْوالي [4]

في هذا النص نرى الشاعر يمزج بين فروسيته الفذة وبين انتمائه لبني عبس-من جهة أبيه-وكون أخواله من حام، فهو لا يعدم أن يذكر سواده مفتخرا ممزوجا ببطولاته وعظيم أفعاله في سوح الوغى، فيجد في تفوقه وانتصاراته تعويضا عما لحق به من ألم ومرارة جراء عبودية لفعت بالسواد، فيتسامى بنفسه، فيخلق هذا التسامي شعورا بالراحة النفسية ينسيه آلامه وانفعالاته وحدة توتره الملازم له. و تعكس نصوص الشاعر عنترة بن شداد الشعرية حالة متفردة من التسامي والاستعلاء في ظل فروسية مشحونة بأعنف صور البطولة والاقتدار الفردي، ومثل خلقية بلغت مداها حقق بها طموحه بانتزاع اعتراف قومه بوجوده المتميز، على الرغم من مشقة المسافة وبعدها بينه وبين هذا الاعتراف.

فعنترة الذي استحكمت بينه وبين قومه عقدة اللون والعبودية، ما كان لينام على الضيم ويقنع

---

[1]-ديوان عنترة، ص: 68.

[2]-والتسامي: "sublimation"هو حالة تصعيد ذاتية بقيمة الشيء أو الموضوع وتحميله رؤية ذاتية تجعله في مقام ومنظور أعلى من حالته الاجتماعية الممكنة وتمنعه من الترهل والابتذال، وتحصنه من محاولات فهمه المباشر الموهن لرؤاه الجمالية والحسية العالية. ينظر: ريكان إبراهيم، نقد الشعر في منظور نفسي، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م، ص: 29.

[3]-لورانس شافر، علم النفس المرضي (سوء التوافق في الحياة اليومية)، ترجمة: صبري جرجس، إشراف: يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، 1984م. ص: 318-319.

[4]-ديوان عنترة، ص: 336.

بذله، ولديه من القوى النفسية والجسدية ما تمكنه من تجاوز تلك الحواجز الصماء التي أفرزتها مفارقات المجتمع وتجاوزاته، إلى أن استطاع بحد سيفه أن يعلن عن نفسه. والروايات التي أوردت خبر حصول عنترة على حريته مختلفة، إلا أن جوهرها واحد[1].

ورغم انتزاع عنترة حريته بحد سيفه، وإرادته التي لا تضمحل، إلا أن عقدة العبودية ظلت تلاحقه وتلح عليه، وكان لهذا أثره البعيد في نفسيته وفي بناء شخصيته فارتفع بها ارتفاعا يفوق مستوى الإنسان العادي في كل تصرفاتها، فهو من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده[2].

وتفصح نصوص الشاعر عن صور فريدة من صور الاقتدار البطولي والفروسية النادرة التي شهد لها الكثير، وشدة في إظهار العظمة والكفاح، فعنترة لا ينازل إلا الأبطال الجسام الذين يتمتعون بقدرات قتالية وملامح بطولية ليعزز مبدأ التسامي الذي وظفه للكشف عن قدرة الشاعر في قهر هذه القوة والتغلب عليها، بحيث يوحي لنا أن من يقهر خصما بهذه القوة والبطولة، إنما يتمتع بقوة وبطولة تفوقها وتسمو عليها فيقول: [الوافر]

بأَسْمَرَ مِنْ رِماحِ الخَطِّ لَدْنِ ... وأَبيَضَ صارِمٍ ذَكَرٍ يمَاني

وقِرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدى مَكَرٍّ ... عليهِ سَبائِبٌ كالأُرْجُوانِ

تَرَكْتُ الطَّيْرَ عاكِفَةً عليهِ ... كَما تردى إلى العُرْسِ البَواني

وَيَمْنَعُهُنَّ أَنْ يأكُلْنَ مِنْهُ ... حياةُ يَدٍ وَرِجْلٍ تَرْكُضانِ[3]

إن الرّغبة في منازلة الأبطال الشجعان، والفخر بقتلهم، وطعنهم، وتمزيقهم قد تفصح عن الآلام الدفينة التي يعيشها هذا العبد الأسود، فعنترة يريد أن يثبت للجميع بأنه من طبقة هؤلاء الأبطال الجسام، بل يتفوق ويتسامى عليهم بقوته، فصورة القوة للخصوم، تؤكد الذات، وتعطيها أبعادها كما يجب أن تكون من وجهة نظر ذلك المجتمع.

ثم إن تكرار صور الطعن والدم التي يعج بها شعره تكشف هي الأخرى عن حس مأساوي وحقد دفين، فعنترة لا يختار ضحاياه فحسب، بل يتشفى بمصارعهم، ويقسو قسوة بالغة في وصف ما

---

[1]-ينظر: الأصفهاني، الأغاني، ج: 8، ص: 169-170، ورواية الأغاني هي الأرجح لتقدمها، وصحة سندها، وللمبالغات الظاهرة في الروايات الأخرى، ولمزيد من التفصيل: ينظر: ديوان عنترة، ص: 38-39.

[2]-ينظر: عبد الفتاح نافع، الشخصية والطبيعة في الشعر القديم، مجلة المورد، المجلد السادس والثلاثون، العدد الثاني، وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-جمهورية العراق، 1430هـ-2009م. ص: 107.

[3]-ديوان عنترة، ص: 295-296. أسمر: الرمح. الخط: موضع بالبحرين تنسب إليه الرماح. اللدن: اللين الهز. الصارم: السيف القاطع. الذكر: الحديد المذكر. سبائب: ذوائب الشعر خضبت بالدم. القِرن: في القتال، معناه المقارن والمماثل. البواني: ج بانية، وهن اللواتي يزففن العروس إلى زوجها. حياة يد ورجل: أي صرعه ولم يجهز عليه.

أنزل بصرعاه من قتل وتمثيل وكأني به يتلذذ بمنظر الفرائص النازفة والرؤوس المعفرة[1] .يقول: [الوافر]

تَرَكْتُ جُبَيْلةَ بنَ أَبي عَدِيٍّ يَبُلُّ ثيابَهُ عَلَقٌ نَجيعُ

وآخرَ منْهُمُ أَجْرَرْتُ رُمْحِي وفي البَجَلِيِّ مِعْبَلَةٌ وقيعُ [2]

فأحد هذه الصريعين ينزف دما ومازال السيف في أحشائه، والثاني طعن برمح مازال يجره. لقد استطاع عنترة أن يختزل كلاما كثيرا بهذه الصور، فهو يتعامل مع خصومه كما يُعامل هو من قبل المجتمع، فعنترة ينتقم من خصومه كما قسا عليه مجتمعه[3].

وتتعالى ذات الشاعر وتتفوق، حينما يظهر قومه مخذولين، مدبرين، حتى يقدم بهامته الأسطورية، فيحول انكسارهم انتصارا، يقول: [الكامل]

إِنْ يُلْحَقوا أَكْرُرْ، وإِنْ يُسْتَلْحَموا أَشْدُدْ، وإِنْ يُلفَوْا بضَنْكٍ أَنْزِلِ

حينَ النزولُ يكونُ غايةَ مِثْلِنا ويَفِرُّ كلُّ مُضَلَّلٍ مُستَوهِلِ[4]

فالشاعر لا يكر إلا بعد أن يرى بني قومه قد أعيوا و خذلوا وأصابهم الضنك وأشرفوا على الهزيمة فإذا أقبل، تضفره هالة البطش والقوة، حول انكسارهم إلى انتصار رد إليهم روعهم، ورفع العار والخزي عنهم، فهو يرتفع على أشلائهم، ويتعالى على هماتهم، جامعا المجد حول هامته[5].

ولعلنا لحظنا فيما مر علينا من شعر عنترة أنه كان يحس ببهجة غامرة حين يستنجد به قومه ويحسون الحاجة إليه، وسر هذه النشوة يكمن في اقترابه من هدفه، وفي نجاحه في إجبار قومه على الاعتراف به[6]،يقول: [الكامل]

---

[1]-ينظر: فوزي محمد أمين، عنترة بن شداد العبسي، دار المريخ للنشر،، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م ،ص: 184.

[2]-ديوان عنترة، ص: 285، جبيلة: رجل من جبلة، وهم حي من بني سليم. العلق: الدم المعلبة: السهم العريض الطويل النصل. الوقيع: المحدد.

[3]-ينظر: لار عبد الرؤوف أمين شفاقوج، أثر اللون في نفس عنترة من خلال شعره-دراسة أدبية نفسية-رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1999م، ص: 94.

[4]-ديوان عنترة، ، ص: 248-249. إن يلحقوا أكرر: إن يلحقهم العدو كررت وراءهم فخلصتهم. يستلحموا: يدركوا ويحاط بهم. أشدد: أي أحمل عليهم. الضنك: الضيق في الحرب. المضلل المستوهل: أهل الجبن.

[5]-ينظر: إيليا سليم الحاوي، في النقد والأدب، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1979م، ص: 64-65.

[6]-ينظر: فوزي محمد أمين، عنترة بن شداد العبسي، ص: 174.

وَلَقَدْ شَفَى نَفْسِي وأَبْرَأَ سُقْمَها قِيلُ الفَوَارِسِ وَيْكَ عَنْتَرَ قَدِّمِ[1]

إن مناداة فوارس عبس لعنترة في ساحة المعركة يدعونه للتقدم ومواصلة القتال، يذكي وجدانه ويحيله إلى طاقة ملتهبة، تتفجر قوة وإقداما في وجه الأعداء، فيتخذ من شفاء النفس وسيلة للإعلاء النفسي وتأكيد الذات والانتقام من خصومه الذين يحاولون النيل منه، والطعن به.

فنداء الفوارس له"قيل الفوارس ويك عنترة قدّم" يدل على أنهم لا يعترفون بمساواته لهم فحسب، بل يتفوق عليهم غاية التفوق، واستئثاره بالبطولة دونهم، وذلك بإعلان شخصي منهم، وكأن هذا النداء تعويض عن العبودية والهجنة التي أرهقته.

ولكن هذا الشفاء النفسي مؤقت ارتبط في نفس الشاعر بشفاء آخر، فنفس عنترة تكاد تصل إلى الشفاء في هذا المشهد الذي يرى فيه أعداءه يسقطون قتلى من أعلى الجبل الطويل وكأن العلاقة بينه وبين خصومه علاقة عكسية فكلما يهوي أعداؤه للأسفل يسمو عنترة ويرتقي إلى الأعلى[2]، يقول: [الطويل]

شَفى النَّفسَ مني أَو دَنا من شِفائِها تَرَدِّيهُمُ من حالِقٍ مُتَصَوِّبِ[3]

ويقول: [الطويل]

أَلا هَلْ أَتاها أَنَّ يومَ عُراعِرٍ شفى سَقَمًا لو كانتِ النَّفْسُ تَشْتَفي[4]

إن عنترة يعاني من أزمة حقيقية، فنفسه تنوء بحمل ثقيل شبيه بداء دفين، جراء واقعه الذليل الذي أوثقه بشباكه، على الرغم من محاولته إخفاء الصراع الذاتي الذي يعيشه، قال معاوية(ت:60ه):«...وما رأيت أحدا يرفع نفسه فوق قدرها إلا من ذلة يجدها»[5] فتسامي عنترة ورفع نفسه عن كلّ ما يحيط بها من مثبطات ومحبطات في محاولة قوية للتعويض والدفاع عن الذات، ولاسيما أنه كان يشعر أن أفعاله وبطولته وشجاعته أمور ترتبط بالنشأة، قدر ارتباطها بالنفس

---

[1]-ديوان عنترة، ،ص: 219. ويك: وي تنبيه والكاف للخطاب.

[2]-ينظر: جاسم محمد عباس الصميدعي ومحمد كامل حماد الجابري، اغتراب الذات في شعر الأغربة، ص: 60.

[3]-ديوان عنترة، ، ص: 279. ترديهم: ترامهم. حالق: هو الجبل الطويل. تصيح: يسمع لها صوت. الردينيات: الرماح. الحجبات: رؤوس الأواري. العوالي: صدور الرماح. الثقاف: الذي تقوم فيه الرماح.

[4]-ديوان عنترة، ، ص: 229، عرار: ماء لكلب.

[5]-الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405ه-1985م. ج: 4، ص: 70-71.
وقد قال ذلك معاوية لمحمد بن الأشعث عندما دخل عليه فجلس بينه وبين الأحنف بن قيس، وكان محمد قد وَجِدَ في نفسه من تقديم معاوية الإذن للأحنف منه.

وسموها، إن« حس الدونية الذي لازمه عهدا طويلا هو الذي ولد في نفسه ضربا من التعويض من خلال تفريغ شهوة الاقتدار على خوض غمار الحرب، ذلك الاقتدار الذي ان ثبت امتلاكه، فلسوف يثبت كونه نافعا للجماعة، غير أن رفض الجماعة له دفع به إلى التسامي بحيث تفجر الأزمة أعماقه وطاقاته فيغدو بطلا حقا»[1] فالفروسية شفت جزءا من سقم عنترة، لأنها أوصلته إلى الحرية، ليحقق الأمن بالانتماء إلى عبس وأشبعت حاجاته إلى التقدير الاجتماعي الذي حرم منه، وجعلته موضع قبول واحترام وخلدت ذكره بين قومه.

وعلى عكس عنترة تطالعنا نصوص الشاعر السّليك بن السّلكة المقتضبة عن نمط مغاير للمواجهة إنه عالم الصعلكة، حين ارتبط الجوع بالنقمة على سلبيات النظام القبلي الصارم فتحول هذا الارتباط الطبيعي بين الواقع الاقتصادي المرير والواقع الاجتماعي القاسي، إلى تمرد هو في الحقيقة، نواة ثورة أدبية واجتماعية يمثلها الشعراء الصعاليك[2].فأعلن بذلك المقاطعة، وخرج عن إطار القبيلة،.فالنفس المريدة قادته إلى الهدم والتغيير، للإحساس بالوجود الذي تلاشى طويلا أثناء الحرمان، ومن ثمة فإن التمرد إنما هو تأكيد لوجود مرغوب، ورفض لوجود غير مرغوب. يقول: [الطويل]

وعاشِيَةٍ رُجَّ بِطَانٍ ذَعَرْتُها ... بِصَوْتِ قتيلٍ وَسْطَها يُتَسَيَّفُ
كأَنَّ عليهِ لَوْنَ بُرْدٍ مُحَبَّرٍ ... إذا ما أتاه صارخٌ مُتَلَهِّفُ
فَباتَ لَهُ أهلٌ خلاءٌ فِنَاؤهُم ... ومَرَّت بهم طيرٌ فلم يتعيَّفوا
وكانوا يظنُّونَ الظُّنونَ وصُحْبَتي ... إذا ما عَلَوْا نَشْزاً أَهَلُّوا وأوجفوا
وما نِلْتُها حتَّى تَصَعْلكْتُ حِقْبَةً ... وكنتُ لأَسباب المنِيَّةِ أَعرفُ
وحتَّى رأيتُ الجُوعَ بالصيفِ ضَرَّني ... إذا قمتُ يغشَاني ظِلالٌ فأُسْدِفُ[3]

فالنص يبرز روح الانتقام التي تملكت السليك من كل جانب، والتي تترجم عن نفسها بالبطش والفتك، كما يعكس وقع الجوع على نفسه، حينما يرتبط الجوع بالنقمة وحرارة التمرد، فنراه ينقض ويأخذ ما يحتاجه وتنطلق صرخات الذات المتمردة التي تعاني من الاضطهاد والتمايز الطبقي حين يجاوز الشاعر العبد السليك ذاته في الآخرين حيث تشيع المرارة في محاولاته للانفلات من براثن الواقع إلى الموقع الذي يرتضيه لنفسه تحت الشمس، حين تتصل برؤيته لخالاته الإماء، بين الرحال وهن

---

[1]-يوسف اليوسف، مقالات في الشعر الجاهلي، دار الحقائق، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، 1985م، ص: 32.

[2]-ينظر: عناد غزوان، أصول نظرية نقد الشعر عند العرب ومدارات نقدية، صنعاء-اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م. ص: 101.

[3]-السليك بن السلكة (أخباره وشعره)، ، ص: 59-60، الرج: جمع رجاء وهي الناقة العظيمة السنام. لون برد محبر: طرائق الدم على القتيل. صارخ: وهو المتحزّن عليه. لم يتعيفوا: لم يزجروا الطير فيعلموا أيقتل هذا أم يسلم. أوجفوا: حملوها على الوجيف، وهو ضرب من السير.

يُبَعْنَ وينتقلنَ سلعة من سقط المتاع، وهوعاجز عن تخليصهن، «إن التمرد لا ينشأ فقط وبالضرورة لدى المضطهد، قد ينشأ أيضا لدى مشاهدة الاضطهاد الذي يتعرض له شخص آخر، هناك إذن، في هذه الحالة، توحد ذاتي مع الشخص الآخر. ويجب أن نبين بأن المسألة ليست مسألة توحد ذاتي نفساني، بل وسيلة يحس الفرد بواسطتها في مخيلته أن الاهانة موجهة إليه. »[1]، يقول: [الوافر]

أشابَ الرأس أَني كلَّ يومٍ أَرى لي خالةً وَسْطَ الرِّحَالِ

يَشُقُّ عليَّ أنْ يلقَينَ ضَيْماً ويَعْجَزُ عَنْ تَخَلُّصِهِنَّ مالي[2]

إن شعور السليك بعمق الهوة بينه وبين غيره، ووطأة الظلم والحرمان، قد قاده إلى التمرد على الكيان الاجتماعي الذي رفضه وأنكر وجوده، والثورة على القيم الجائرة، التي دأبت دوما على كبح جماحه وحالت دون طموحاته، وجعله لا يتردد في الإقبال على السلب والنهب، على حد قول العقاد: «وقد أهله كل هذا الهوان إلى أن يترجم عن عبوديته بالإباق والتشرد والسطو على الأموال والأعراض»[3]

وكأني بالسليك ينفس مما عاناه من وطأة العبودية وويلات الذل والقهر والحرمان، في صورة نقمة علنية في وجه المجتمع، فالسليك يقتل الناس، ويقتل عدوا غامضا من دونهم، لتغدو الصعلكة عنده «هي إرادة الحياة، هي القدرة على الفتك بكل من يحجب الحياة »[4]،

وعلى صعيد آخر في المواجهة يقف الشاعر الفارس خفاف بن ندبة، معتدا بذاته، محاولا اجتياز حاجز اللون ولوث الهجنة، في حالة من الرفض والعناد والتمرد.ولو تأملنا ديوان الشاعر، لوجدنا فيه ظاهرة تكاد تغطي مساحة واسعة منه، ألا وهي تمرده على زعيم القبيلة عباس بن مرداس، ومهاجاته إياه.

ويظهر ذلك بوضوح في أخبار الصراع الذي نشب بين خفاف وابن عمه العباس بن مرداس، حول امتلاك مقاليد الزعامة، فقد قيل: «أن خفاف كان في ملأ من بني سليم، فقال لهم: إن عباس بن مرداس يريد أن يَبْلَغ فينا ما بلغ عباس بن أنس، ويأبى ذلك عليه خصال قعدن به، فقال له فتى من رهط العباس: وما تلك الخصال يا خفاف؟ قال: اتقاؤه بخَيْله عِند الموت، واستهانته بسبايا العرب، وقتلهُ الأسرَى، ومكالبته للصعاليك على الأسْلاب، ولقد طالت حياته حتى تمنّيْنا موته»[5].

---

[1]-L'homme révolté- Albert Camus- éditions Gallimard, 1951.22:-

[2]-السليك بن سلكة (أخباره وشعره)، ، ص: 62.

[3]-العقاد، بين الكتب والناس، ، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، 1985م ص: 77.

[4]-أحمد محمود خليل، في النقد الجمالي-رؤية في الشعر الجاهلي- دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م، ص: 83.

[5]-الأغاني 19/6829-6830.

ليصل الخبر إلى أسماع العباس بن مرداس، فيكون الرد موجعا ينبش جراحه الغائرة، يقول: «والله لا أشتم عرضك، ولا أسبُّ أباك وأمّك، ولكن رمى سوادك بما فيك»[1].

فيمتشق خفاف سلاح الهجاء المشبع بالزراية والتنقيص في وجه عدوه، الذي كان أمرّ من السم الزعاف يجرعه له قطرة فأخرى، على النقيض من الشاعر عنترة بن شداد، الذي وجد في فروسيته، وبطولاته، وخوضه غمار الحرب تعويضا عن سواده، وتنكر قومه له، يقول:

أعباسُ بن مِرداس ألمّا تُخَبّرْكَ المجامِعُ عَنْ خُفَافِ
فتَعْلمَ أنّ عُودي قد يُعيَّا على غَمْزِ المُقوّمِ والثِّقافِ
ستأتيك القوافي من قريضي مُلمْلِمَةً كجلْمودِ القِذاف
وتشربَ من لَظىٰ حَرْبي كؤوسًا أمرَّ بفيكَ من سُمٍّ ذعَافِ[2]

وتتفجر مكنونات نفس الشاعر خفاف بن ندبة المتصارعة، والتي تتأجج أشبه ببركان يغلي، وينفجر حقدا، وكراهية في وجه عباس بن مرداس، فيرميه بأنواع المعايب، ويضائل من شخصيته، وينعته بأبشع النعوت، فيقول:

أرى العباسَ يَنقُصُ كلَّ يومٍ وَيزعُمُ أنّهُ جَهْلا يَزيدُ
فلو نُقِضَتْ عزائمُهُ وبادَتْ سلامتُهُ لكانَ كما يُريدُ
ولكنَّ المعايبَ أَفْسَدَتْهُ وخلّف في عشيرتِهِ زَهيدُ[3]

ويندمج هجاء الشاعر خفاف بن ندبة المحصن بالتهكم اللاذع لغريمه عباس بن مرداس، بأوج التعالي بنفسه، واعتداده بقومه، يقول:

يا أيُّها المُهدي ليَ الشتمَ ظالِمًا ولستُ بأهلٍ حيْنَ أُذكرُ للشتمِ
أبى الشتمَ أَني سَيّد وابنُ سادةٍ مطاعينَ في الهيجا مطاعيمَ للجرم
هم مَنَحوا الضرّا أباك وطاعَنوا وذاكَ الذي يُرْمىٰ ذليلٍ ولا يَرْمي[4]

إن روح الهجاء التي تملكت الشاعر خفاف بن ندبة، كانت أشد من وقع النبال على العباس بن مرداس، لأن للكلام تأثيرا أشد وأوقع في النفس، هذا من ناحية.

ومن ناحية أخرى، يبدو لي أن الشاعر خفاف بن ندبة طوع الهجاء ليسقط[1] ما في نفسه من شعور

---

[1]-نفسه 6830/19.

[2]-الديوان، ص: 104.

[3]-الديوان، ص: 62، باد: هلك، رجل زهيد: لئيم.

[4]-نفسه، ص: 59، طاعنوا: من المطاعنة، وهو الضرب بالرمح.

بالألم، وعمق الأسى الذي يشعر به من حاجز اللون الممتد، وشوائب النسب، على شخص يتزعم القبيلة هو في واقع الحال يمثل النموذج المثالي المنتخب.

**وبعد** فلعلنا استطعنا أن نلقي بعض الضوء على نفسية الشعراء الأغربة ونعايش معهم بعض ما كان يضطرب في نفوسهم من حلم وعجز وطموح وقسر، فشعر أغربة العرب كان ينطلق من إحساس غائر بالدونية؛ و صورة من صور النقمة والتحدي والنزاع بين الواقع الوجودي للشعراء، وبين ما يتصورونه لذواتهم

فلأدب تبع لهذا الطرح وثيقة نفسية اجتماعية ناتج عن أسباب نفسية خاصة بالمبدع، وأنه يجب أن يقرأ قراءة تمتد من عالمه الباطني بغية الوصول إلى دلالاته الخفية، وكل نص أدبي ليس سوى تجربة اجتماعية عبر واقع متخيل.

ولا ندعى أن ما وصلنا إليه هو الحقيقة التي لا جدال عليها وإنما كل ما فعلناه في هذه الورقة البحثية هو الحقيقية التي لا جدال عليها وإنما كل ما فعلناه هنا لا يعدو أن يكون لونا من ألوان الاجتهاد الشخصي، فإن أصبت فهو غاية الطموح، وإن كنت أخطأت فحسبي أنني حاولت، ولا كمال إلا لله وحده، فمنه السداد والتوفيق وعليه قصد السبيل.

## 5-قائمة المصادر والمراجع:


1-الأغاني، الأصفهاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الشعب، القاهرة، د.ت.

2-أصول نظرية نقد الشعر عند العرب عناد غزوان، مدارات نقدية، صنعاء-اليمن، الطبعة الأولى، 1419هـ-1998م.

3-الانتماء في الشعر الجاهلي، د. فاروق أحمد سليم، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 1998م.

4-الإنسان المتمرد، ألبير كامو، ترجمة: نهاد رضا، منشورات عويدات، بيروت-باريس، الطبعة الثالثة، 1983م

5-الإنسان...من هو؟، قاسم حسين صالح، وزارة التعليم العالي، مطابع جامعة بغداد، 1987.

6-البيان والتبيين، الجاحظ ،تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1405هـ-1985م.

7-بين الكتب والناس، عباس محمود العقاد، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، 1985م.


---

[1]-الإسقاط Projection: حيلة دفاعية نظمته الذات دفاعا عن نفسها، وحفاظا لاعتبارها، إنها حماية للذات ضد المهانة، أو الاستخفاف بها، ولذلك يسقط الإنسان عن ذاته إلى غيره من الناس النزعات التي يستقبحها، ولا يطيقها في نفسه. ينظر: فيصل عباس الشخصية في ضوء التحليل النفسي، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م ص: 98.

8-تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي ،تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، مراجعة: إبراهيم السامرائي، وعبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، الطبعة الثانية، 1407هـ - 1987م.

9-التفسير العلمي للأدب: نبيل راغب، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، الطبعة الأولى، 1997م.

10-التفسير النفسي للأدب: عزالدين اسماعيل، دار العودة بيروت –لبنان، الطبعة الرابعة، 1988م

11-ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، الثعالبي ،مطبعة الظاهر، القاهرة، 1326هـ - 1908م..

12-الحيوان، الجاحظ، تحقيق: فوزي عطوي، دار صعب، بيروت، الطبعة الثالثة، 1402هـ - 1982م.

13-خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، البغدادي ، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، الطبعة الثانية، 1404هـ - 1984م.

14-ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، القاهرة، 1390هـ - 1970م.

15-السليك بالسلكة-أخباره وشعره-،دراسة وجمع وتحقيق: حميد آدم ثويني وكامل سعيد عواد، مطبعة العاني –بغداد، الطبعة الأولى، 1404هـ-1984م.

16-الشخصية في ضوء التحليل النفسي، د. فيصل عباس، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، 1982م.

17-شرح ديوان خفاف بن ندبة السلمي، شرح وتحقيق: د. محمد نبيل طريفي، دار الفكر العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 2002م.

18-شرح شواهد المغني، السيوطي تحقيق: محمد محمود، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.

19-الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي، د. عبده بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1973م.

20-الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، د. يوسف خليف، دار المعارف، مصر، 1959م.

21-شعر خفاف بن ندبة السلمي، جمع وتحقيق، د. نوري حمودي القيسي، مطبعة المعارف، بغداد، 1967م.

22-شعر الصعاليك منهجه وخصائصه، د. عبد الحليم حفني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م.

23- العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي، د. إحسان النص، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، 1963م

24-علم النفس الفردي -أصوله وتطبيقاته- إسحاق رمزي دار المعارف، القاهرة، ط2، 1953.

25-علم النفس المرضي (سوء التوافق في الحياة اليومية)، لورانس شافر، ترجمة: صبري جرجس، إشراف: يوسف مراد، دار المعارف، القاهرة، الطبعة السادسة، 1984م.

26-عنترة بن شداد العبسي، فوزي محمد أمين، دار المريخ للنشر،، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1406هـ-1986م.

27-في النقد الجمالي-رؤية في الشعر الجاهلي- أحمد محمود خليل، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1417هـ-1996م،

28-في النقد والأدب، إيليا سليم الحاوي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الرابعة، 1979م

29-القاموس المحيط، الفيروز آبادي ،دار الفكر، بيروت، د.ت.

30-الكامل في اللغة والأدب والنحو، المبرد،، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417هـ - 1997.

31-لسان العرب، ابن منظور تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ت.

32-المحبر، ابن حبيب ، رواية: أبي سعيد الحسن بن الحسين السكري، تصحيح: إيلزه ليحتن شتيتر، مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية، 1361هـ -1942م.

33-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية، الطبعة الرابعة، 1378هـ - 1958م.

34-المعارف، ابن قتيبة، تحقيق: ثروت عكاشة، مطبعة دار الكتب، 1960م.

35-مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ، دار الحقائق، بيروت-لبنان، الطبعة الرابعة، 1985م

36-مناهج النقد الأدبي الحديث: إبراهيم الساعفين، وخليل الشيخ، الشركة العربية المتحدة للتسويق و التوليدات، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولى 2010م..

37-من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده :محمد خلف الله أحمد، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، 1947م.

38-الموسوعة النفسية ،خليل أبو فرحة، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2000.

39-النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة-الأردن، الطبعة الاولى، 2005

40-نقد الشعر في منظور نفسي، ريكان إبراهيم ، وزارة الثقافة والإعلام، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989م.

**الدوريات**:

41-أثر اللون في نفس عنترة من خلال شعره-دراسة أدبية نفسية- لار عبد الرؤوف أمين شفاقوج، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1999م.

42-اغتراب الذات في شعر الأغربة، جاسم محمد عباس الصميدعي ومحمد كامل حماد الجابري، مجلة جامعة الأنبار للغات والآداب،، العدد12، العراق، 2013م .

43-الشخصية والطبيعة في الشعر القديم، عبد الفتاح نافع ، مجلة المورد، المجلد السادس والثلاثون، العدد الثاني، وزارة الثقافة دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد-جمهورية العراق، 1430هـ-2009م.